ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد:05، العدد:02 (2021)، ص438-455

الحضور النسوي في المدونة التاريخية بالمغرب الأوسط في العصر الوسيط

The feminist presence in the historical blog of the Medieval Maghreb Middel

سهيلة دهمش
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة (الجزائر)
souhanine80@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/05/21
تاريخ القبول:
2021/10/21

الكلمات المفتاحية:
- ✓ النساء
- ✓ التهميش
- ✓ المغرب الأوسط
- ✓ العصر الوسيط
- ✓ المكانة الاجتماعية

الملخص:

يعد موضوع "**الحضور النسوي في المدونة التاريخية بالمغرب الأوسط الوسيط**"، من المواضيع الغير جاهزة والصعبة لدى المؤرخين والباحثين في التاريخ الوسيط، ومن هنا جاء اهتمامنا بهذا الموضوع على أمل أن تسهم هذه الورقة البحثية في الكشف عن مدى الحضور النسوي في مجتمع الدراسة، وعلى جميع المستويات وفي مختلف نواحي الحياة. من خلال الدراسة يمكننا الخروج بالنتائج التالية: نسجل عزوف المدونة الوسيطة عن ذكر النساء إلا ما جاء عرضا في كتب المناقب والنوازل الجغرافيا، بالإضافة إلى أن ما نقلته لنا المصادر التاريخية الوسيطة على قلته، وأثبتت الدور الفعال للنساء سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وحتى في الحياة الدينية أين تمكنت النساء من ولوج المجتمع الذكوري، وأخذ مكانتها في نسق البركة، والولاية، والصلاح الصوفي، ورغم التباين في المكانة الاجتماعية للنساء بالمغرب الأوسط الوسيط، إلا أنهن اشتركن في نفس الاهتمامات خاصة فيما تعلق بالزينة وصنع الطعام واللباس والإنجاب وغيرها.

Article info

Received:
21/05/2021
Accepted:
21/10/2021

Key words:
- ✓ Women
- ✓ Marginalisation
- ✓ The Medieval Age
- ✓ The Middel Maghreb
- ✓ the social status

Abstract:

The theme of feminist presence in the historical blog of the Medieval Maghreb Middel; is one of the unprepared and difficult topics for historians and researchers in medieval history, hence our interest in this topic in the hope that this study will contribute to revealing the feminist presence in the study community, at all levels and in various aspects Life. Through the study, we can come up with the following results: We record the reluctance of the Intermediate Code to mention women except for what was presented in the books of geographic virtues and calamities, in addition to what was conveyed to us by the intermediate historical sources and their lack of it, proved the effective role of women within the family and society, and even in religious life where women were able to enter the male society and take its place In the system of blessing, guardianship, and Sufi righteousness, and despite the difference in the social status of women in the medieval Maghreb, they shared the same interests, especially with regard to adornment, food making, clothing, childbearing and other.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمة

إن البحث في موضوع "**الحضور النسوي في المدونة التاريخية بالمغرب الأوسط في العصر الوسيط**" واستحضار مختلف القضايا التي يثيرها، داخل نص الأستوغرافيا [1] المغربية الوسيطة ليس من المواضيع المتاحة والجاهزة، فبالرغم من دور النساء في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحتى الدينية في صورة الولية المتصوفة، إلا أن المدونة الوسيطة تعاملت معها بشيء من التهميش والتغييب في مجتمع ساد فيه الطابع الذكوري، وإلا كيف نفسر هذا الإقصاء من دائرة اهتمام "**أصحاب القلم**"، من هنا نأمل أن تسهم هذه الدراسة في رصد وكشف الحضور النسوي في النص الأستوغرافي الوسيط من خلال الإجابة على الإشكالات الآتية:

- لماذا هُمشَ ذكر النساء في المدونة التاريخية الوسيطة؟
- ما هي الصور التي نقلتها لنا المدونة التاريخية الوسيطة للنساء في المغرب الأوسط؟
- ما هي المتغيرات التي صنعت وشكلت وصقلت ذهنية مجتمع المغرب الأوسط الوسيط في تعامله مع الحضور النسوي؟
- كيف انعكس هذا الحجب داخل المدونة الوسيطة، في معرفة كيفية التعامل مع المرأة، ككيان اجتماعي فاعل داخل الأسرة وداخل المجتمع؟

إن الهدف من البحث في هذا الموضوع هو الولوج إلى مجتمع المغرب الأوسط من خلال الكتابة التاريخية، والاطلاع على الحياة الاجتماعية للنساء فيه، ومعرفة مدى مساهمتهن وفعاليتهن في مختلف الميادين، لذا كان لابد من الاستعانة بالمنهج التاريخي من خلال استقصاء المادة المصدرية من أصولها لأنه الأقرب إلى التوثيق التاريخي.

1. مجالات الحضور النسوي في المدونة الوسيطة

1.1. الحضور الاجتماعي للنساء

يمكن تصنيف الحضور النسوي في المدونة الوسيطة إلى عدة مجالات وعدة مستويات، لعبت فيها النساء دورا فعالا داخل المنظومة المجتمعية للمغرب الأوسط الوسيط ويتجلى ذلك في:

1.1.1. صورة المرأة المنجبة

سجلت لنا المصادر التاريخية أن المرأة المنجبة هي الأعلى مكانة في تراتبية مجتمع المغرب الأوسط، ذلك أن المرأة متضامنة صوفيا مع الأرض، وترتبط قداسة المرأة بقداسة الأرض، وللخصب النسوي نموذج كوني هو نموذج الأرض الأم المنجبة المولدة الشاملة [2]، ومنه فدور الأم يجعل من النساء محل إجماع لا خلاف على قداستهن وقداسة الوظيفة التي يقمن بها، والمتمثلة في احتواء حياة الجنين والحفاظ عليها، ذلك أن الجسد الأنثوي مكلف بضمان استمرارية النوع البشري من خلال التناسل، وداخل إطار شرعية الأسرة، أين تحتل المرأة موقعا

www.manaraa.com

ثانويا في الحياة الزوجية والجنسية والاجتماعية[3] حيث يمثل الزواج المؤسسة الوحيدة التي تضمن هذا الحق المقدس.

إن الوظيفة المقدسة للنساء بالمطلق بما فيها نساء المغرب الأوسط، هي خدمة الإرادة الإلهية في أهدافها وغاياتها وطريقة ممارساتها، ومنه فالوظيفة المقدسة لجسد المرأة هي أن تكون "**أما**" وهذا حسب ما صورته المدونة الوسيطة، والتي أبانت أن ذهنية مجتمع المغرب الأوسط في العصر الوسيط لها حكمها المسبق والمطلق حول أن هدف المرأة الأول في الحياة، والذي تسعى إليه هو أن تكون "**أما**"، فالمرأة التي تنجب تعد جديرة بالحياة والرفعة [4]، وبالتالي إنجاب الأطفال هو السبيل الوحيد لتعزيز مكانة المرأة في الأسرة والمجتمع، أين يمكنها أن تحظى بالاحترام.

ويحسن التنبيه إلى أن رمزية التطهر والتبرك ترافق المرأة أكثر من الرجل، فالمياه حاملة لرمز الخصوبة كما النساء، ولذلك يتم ربطها بجملة من الممارسات الطقوسية ذات حمولة وأبعاد ثقافية ودينية بارزة، ولربما تعد هذه الملاحظة بمنزلة خاصية عامة يمكن تعميمها على المجتمعات ذات البنى المائية والزراعية[5]، ولا يخفى علينا أن مجتمع المغرب الأوسط الوسيط مجتمع زراعي بامتياز، وهذا راجع لوفرة العيون وآبار المياه بالإضافة إلى الأراضي الخصبة، والتي أثرت بدورها على البنية الذهنية والسيكولوجية والسوسيولوجية للمجتمع المغرب الأوسط.

لذلك نجد النساء بالمغرب الأوسط الوسيط يحتفين بمجالات العيون المائية كأمكنة للتبرك والتشافي من "**العقم**"، والذي كان يعتبر عاهة تلصق بالنساء دون الرجال، لذا تم توظيف العيون المائية كمزارات من لدن النساء طمعا في الزواج والإنجاب وفك قيود السحر، إلى غير ذلك من الأشكال والممارسات التي تترجم بنية ذهنية إنسان المغرب الأوسط الزاخرة بطقوس الزيارة والتبرك[6]، وتجدر الإشارة هنا إلى أن لجوء النساء لهذه الممارسات والطقوس نابع من إدراكهن أن الأولوية في مجتمعهن للخصوبة أو الولادة باعتبارها فعلا وجوديا يحيل إلى الإعادة المستمرة لفعل التخلق[7]، فالإنجاب والخصوبة شرط أساسي وأولى، تفوق فيه السوداء المنجبة الحسناء العاقر [8].

2.1.1. صورة الأم المعيلة

لم تكن عملية الإنجاب وحدها من رفعت من مكانة النساء في تراتبية المجتمع، فكفالة العيال في غياب الأب عُدَتْ هي الأخرى من المهام المقدسة للنساء في المغرب الأوسط الوسيط، وقد حفظت لنا المدونة الوسيطة أمثلة عنها، من ذلك ما حدث مع أحمد بن زكري (ت 899هـ/1494م)، فوالدته قامت بحضانته وتربيته منذ صغره بعد وفاة والده، وجعلته يشتغل بمجال الحيَاكَة من أجل أن يُعَولَ على نفسه[9]، كذلك بقاء ابن مرزوق في حجر جدته بعد وفاة والده سنة (681هـ/1282م)، وبعد موت جدته كفلته أخته زينب[10]، وأفرد الونشريسي (ت914هـ/1509م) في معياره فصلا كاملا حول نوازل النفقة والحضانة، وذكر حالات كانت فيها الكفالة

www.manaraa.com

والحضانة للأم أو الجدة[11]، وهو ما يعكس الدور المهم الذي قامت به النساء في الحفاظ على تماسك الأسرة والمجتمع وحماية ورعاية الأطفال.

3.1.1. النساء وأعمال البيت

الجدير بالملاحظة أنه من بين الصور التي نقلتها لنا مصادر الحقبة المدروسة عن الأعمال المنزلية التي كانت منوطة بالنساء، وظيفة حمل الماء من السواقي على ظهورهن، بالقرب من الأماكن البعيدة حيث كن يخرجن في الصباح الباكر ولا يعدن إلا بعد الزوال [12]، كما قمن بجمع لقط الزيتون [13] خاصة في المناطق الجبلية لصناعة الزيت.

كما ساهمت النساء بالمغرب الأوسط الوسيط، في صنع بعض المنتجات الغذائية لإعالة أُسَرهنَ، من ذلك العمل على اللبن لاستخراج السمن والجبن، وصناعة الكسكس، والخبز والعيش وهو الثريد وما يطبخ من الدقيق مفتولا أو غير مفتول[14]، كما قامت النساء بتحويل دقيق الحبوب إلى حلويات ذات أشكال وأذواق متنوعة، كالكعك المحشو بالسكر[15]، بالإضافة إلى صناعة الطعام الخفيف المجفف من العجائن والذي يعرف بالفداوش والمحمصة والدشيش[16]، وننوه إلى أن هذه الأنواع من المعجنات يمكن تخزينها لفترات طويلة نسبيا، وهو ما جعل الحُجَاجْ يتزودون بها لخفتها وطول فترة صلاحيتها.

2.1. الحضور الاقتصادي

من خلال جمع عدد من القرائن التاريخية تتجلى لنا مدى مساهمة النساء في الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط الوسيط، وذلك عن طريق امتهانهن لبعض الصنائع والحرف لإعالة أنفسهن وعوائلهن، خاصة النساء من الفئات المهمشة ونساء البوادي، ومن بين الصناعات التي ورد ذكر مساهمة النساء فيها نذكر:

1.2.1. الصناعات النسيجية

اشتهرت بالمغرب الأوسط صناعة النسيج وحياكته، بسبب وفرة المواد الخام خاصة الصوف والكتان والقطن والحرير[17] ودليلنا في ذلك أن الونشريسي (ت914هـ/1509م) ذكر في نوازله أن رجلا حلف لزوجته باللازمة أن لا يشتري لها كتانا، ولا يطلع في عنقه ثوبا من غزلها، وسبب ذلك أنه اشتكي لها دين عليه فقالت: " **تراني أنسج الشقة وأعطيها لك تبيعها**" [18]، وفي بعض الحالات لما تكون مادة الصوف متوفرة بكثرة نجد أن هناك بعض النسوة لجأن لطلب المساعدة في غزل الصوف اختصارا للوقت وإعانة منهن لبعضهن في ما يعرف بالتويزة[19]، كما اشتهرت بعض النساء باحتراف الغزل لإعالة أنفسهن كمؤمنة التلمسانية (ق8هـ/ ق13م) والتي كان قوتها من عمل الغزل الذي كانت تمارسه وتقتني بثمنه ما تحتاج إليه، وهي بذلك تتحرى الحلال في مأكلها كما كانت تمتنع عن أكل طعام الناس[20].

في المقابل اشتهرت نساء بني سنوسن بجنوب تلمسان بصناعة الحصير[21]، وكانت هناك منهن من تشتري الصوف وتقوم بغسله ومشطه وغزله ونسجه[22] ومن ثمة بيعه، بالإضافة إلى غزل الصوف غزلت النساء القطن والكتان لاستخدامها في صناعة الزرابي والحنابل، والأكسية والبرانس والتي وصلت شهرتها إلى خارج

www.manaraa.com

تلمسان[23]، وأشهر مدن المغرب الأوسط في الصناعات النسيجية نجد تلمسان والتي قيل عنها أنها دار مملكة يعمل فيها من الصوف كل شيء بديع من المُحَرَرَاتْ والأَبْدَانْ وأَحَاريمْ الصوف والسَفَاسيرْ والحَنَابلْ المُكَلْكَلَة وغير ذلك[24]، وحفظت لنا النوازل نماذج يمكن من خلالها تأكيد طرحنا ول احتراف النساء للصناعات النسيجية كمساهمة في الحياة الاقتصادية، منها نازلة جاء فيها: هل يحق للمرأة أن تشتري الصوف وتصرف فيه بالغسل، **فهل يحق للزوج منعها؟** فكان الجواب إن كانت المرأة مَزينَة غير مُسْتَهنَة للغزل والنسيج فللزوج حق لمنعها، وإن كانت غير ذلك فلا ضرر في ذلك، لأن الحق في ذلك هو مساعدة الزوج [25]، ذلك أن غالب تكسبهم حَوْكُ الصوف، يتغلبون في عمل أثوابه الرقاق، فتلقى الكساء أو البرنس عندهم ثماني أوراق [26].

2.2.1. الماشطة وغاسلة الثياب مقابل أجر

من بين الصنائع التي احترفتها بعض نساء المغرب الأوسط الوسيط حرفة الماشطة، وتقوم هذه الصناعة على الاعتناء بتجهيز العروس يوم زفافها، وذلك بمشط شعرها، وقد أفتي بوجوب الصنعة عند غير إلزام الزوج بالشرط، ذلك أن من تزوج ماشطة وشرطت عليه في عقد النكاح أن لا يمنعها من صنعتها [27]، ولم تكن العرائس وحدهن من احتجن للماشطة فقد اهتمت النساء بأن يظهرن في أحسن صورة خاصة نساء المدن والعائلات الثرية.

في المقابل اختصت بحرفة غسل الثياب بعض السوداوات، وشفيعنا في ذلك أن إحداهن كانت تحمل على رأسها رزمة من الثياب، فأخذت منها في الزحام في "**سوق باب البحر ببجاية**" فسارت متلهفة ضارعة مستغيثة للشيخ أبو زكريا المرجاني والموصلي وأخبرته بقصتها فقال لها: أنت ما تغسلين ثياب الفقراء، لو غسلت ثياب الفقراء ما ضاعت لك الرزمة [28].

3.2.1. الدلالة والتاجرة

كان لحرفة الدلالة دور مهم في مجتمع المغرب الوسط خاصة لدى النساء اللواتي لم يكن باستطاعتهن الخروج إلى الأسواق لشراء حاجياتهن، فالدلالة كانت تتردد على البيوت تبيع لهم الأقمشة وما يلزمهم، في عملية وساطة بين البائع والمشتري [29] وحجتنا في احتراف بعض النساء لهذه الحرفة، أن دلالة باعت لرجل أسباب بالنسيئة، ثم قبض الرجل معظم الثمن وتبقى له منه فطلب الدلالة بقبضها [30]، كما كانت بعض النساء تدخلن الأسواق لبيع غزلهن في "**سوق الغزل بتلمسان**" ولشراء الخيوط الصوفية والقطنية [31].

3.1. الحضور السياسي والعسكري

1.3.1. الحضور السياسي

لم تسجل لنا المصادر الوسيطة ممارسة النساء للفعل السياسي لكن الاستثناء كان مع سوط النسا والدة يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1235-1282م) زعيم دولة بني عبد الواد، وأبي زكريا الحفصي (625-649هـ/1203-1249م) سلطان الدولة الحفصية في تونس، الذي استولى على تلمسان سنة 640هـ/1242م[32] وتم عقد معاهدة بين الطرفين، وتدخلت سوط النسا في العملية الدبلوماسية، فتفاوضت معه في عقد الصلح نيابة

www.manaraa.com

عن ابنها الذي أخرج من تلمسان[33]، وفر يغمراسن بن زيان (681-633هـ/1235-1282م) نحو الجوب من "**باب العقبة**" [34] ودخل السلطان الحفصي من "**باب كشوط**" [35] فأخذ تلمسان عنوة في 29 محرم 640هـ[36].

إن تدخل سوط النساء لطلب العفو عن ابنها وعودته إلى تلمسان، كان مقابل دفع مبلغ قدره مائة ألف دينار سنويا، وأن يذكر اسمه على المنابر في خطب الجمعة والأعياد [37]، فقبل السلطان الحفصي وساطتها، وفي هذا يقول ابن خلدون (ت808هـ/1405م) ووفدت أمه "**سوط النسا**" للاشتراط والقبول فأكرم وصلها وأسنى جائزتها وأحسن إفادتها ومنقلبها [38]. هذا فيما تعلق بتأثير المرأة في الحكم، أما عن تجنيدهن لصالح الدولة، فقد قام السلطان الزياني أبو سعيد عثمان (681-703هـ/1282-1303) بإهداء جارية رومية وسيمة [39] إلى نظيره أبي يعقوب يوسف بن يعقوب المريني، بعد أن دربها على أسلوب الكتابة السرية، وعلى التجسس والتقاط الأخبار، وزودها بالورق الخاص بذلك [40]، وكانت المعلومات التي نقلتها هذه الجارية للسلطان أبي سعيد عثمان (681-703هـ/1282-1303) سببا في التنكيل وقتل أسرة الخطيب [41].

2.3.1. الحضور العسكري

ساهمت النسوة في معركة "**ايسلي**" من ناحية وجدة، ومعركة "**واد تلاغ**" بالقرب من ملوية، بين الزيانيين والمرينيين وبرز دورهن في تشجيع المقاتلين[42]، ففي معركة "**واد تلاغ**" اصطفت النساء من الجانبين المريني والزياني لتشجيع المقاتلين، ونقل لنا صاحب الذخيرة هذه الصورة في قوله: "**اصطَفَتْ عيَالاَتْ الفريقين خلف الجيوش الهَوادجْ والمَراكب والقباب المُزَينات بَاديات الوجوه، عليهن الحُلَلْ وثياب الوَشي يُحَرضن الأبطال على الأبطال، واختلط الأمثال بالأمثال وتمازجت الركاب وبرزت الغَانيات من القباب**" [43]، وبرزت النساء سافرات على سبيل التحريش والتحريض، لكن قتل من بني عبد الواد خلق كثير، فهزم يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1235-1282م)، وفر جريحا في شرذمة قليلة من عشيرته وقرابته، وقتل ابنه عمر [44].

نساء تلمسان كن يخضن المعارك إلى جانب الرجال خلف الأسوار[45]، أثناء مهاجمة السلطان المريني أبو الحسن (732-749هـ/1331-1348م) على مدينة تلمسان في 27 رمضان سنة 737هـ/1336م ومحاصرتها[46]، ذكر صاحب البغية أن النساء في هذا الحصار قد وطنوا على ذلك النفوس وأوقدوا له العزائم، وأن ذلك أوضح دليل على شرف أهل هذا البيت وشهامة قلوبهم وشدة حميتهم[47] وفي ظروف الحصار الصعبة التي امتدت لأكثر من ثمانية سنوات، لم يكن بيد نسوة البلاط الزياني أمام عجزهن وخوفهن من الوقوع في الأسر، غير إرسال قهرمانة القصر "**دعد**" للسلطان أبي زيان (703-707هـ/ 1303-1307م)، أين نقلت له رسالة منهن جاء فيها: "**مالنا والبقاء وقد أحيط بكم، فأريحونا من معرة السبي، و أريحوا فينا أنفسكم وقربونا إلى مهالكنا، فالحياة في الذل عذاب والوجود بعدكم عدم**" [48].

2. تراتبية المرأة في مجتمع المغرب الأوسط

المرأة ككيان اجتماعي فاعل داخل المجتمع، أثارت الكثير من الجدل بين من دعا إلى أخذ الحيطة في التعامل معها، والتحذير من الاقتراب منها، ووصل الأمر إلى حد إبعادها عن دائرة المقدس والحقل الصوفي،

www.manaraa.com

وبين من تعامل معها على أنه يحق لها ولوج العالم المقدس عالم التصوف والولاية ذلك أن الدين الإسلامي ساوى بين الجنسين في العبادات والمعاملات وهو ما ستسفر عنه الصفحات الموالية.

1.2. المرأة ذلك الخطر المحدق

رغم الدور المهم للمرأة في مجتمع المغرب الأوسط الوسيط، إلا أن هذا لم يشفع لها أن تكون رديفة الرجل، والذي استصغر عقلها وحذر من مكرها وسطوتها، وأن لم تعمم هذه النظرة إلا أنه لا يمكن نفيها، وأصدق دليل على هذا الطرح نجده في وصية السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-792هـ/1357-1389م) لابنه وولي عرشه في كتابه "**واسطة السلوك**" جاء فيه: " **يا بني لا تكثر مجالسة النساء لئلا يفسرن عقلك بعقولهن، ويسترق طبعك من طباعهن، فإنهن ناقصات عقل ودين، وإن أشرن عليك بأمر فخالفهن فيه، لأن عقول النساء غير موافقة لعقول الرجال، فإنك إن أحسنت إليهن قابلن الإحسان بالإساءة، ومن ضعف عقولهن أنهن لا يفرقن بين المحسن والمسيء فاحذر مطاوعتهن** " [49].

وفي نص آخر أوصاه قائلا: "**يا بني إياك والميل للنساء بالكلية، فإن ذلك عين الأذية وسبب البلية، فإنك إن ملت إليهن بكليتك كان سبب أذيتك**" [50]. كأن بأبي حمو موسى الثاني (760-792هـ/1357-1389م) نسي الدور الذي قامت به "**سوط النساء**" في الوساطة بين ابنها يغمراسن (633-681هـ/1235-1282م) والسلطان وأبي زكريا الحفصي(625-649هـ/1203-1249م)، وكذلك الدور الذي قامت به النساء أثناء حصار المرينيين لتلمسان وأثناء الحروب.

لم يقتصر التحذير من النساء لمكرهن، بل تعدى الأمر إلى التحذير من النساء الجميلات بوصفهن رمزا للغواية والفتنة وشر يجب اجتنابه، قال أبو زكريا يحيى بن سولال الصنهاجي لقيت في الطريق امرأة متزينة، فرأيت الحور في الدنيا، فكرهت أن أخرج لئلا أرى مثل ما رأيت وأنشد قائلا:

وَتَوَقَ من خَدْعِ النساء حَبَائلا ** إنَ النساءَ حَبَائلُ الشّيطَان [51]

لقد رسّخ المجتمع الذكوري فكرة أن جمال المرأة الطبيعي بالغ الخطورة لكل من يراها أو يصادف أن يسوقه حظه العاثر للوقوع في طريقها [52]، حتى أن أحدهم كان إذا لقي في طريقه امرأة يرد وجهه إلى الحائط حتى تبعد عنه [53].

2.2. الحضور الديني والصلاح النسوي

إن الاعتراف بولاية المرأة وتملكها للبركة والكرامة في مجتمع المغرب الأوسط الوسيط، أثار جدلا كبيرا بين من تقبله على أساس المساواة في الجانب الإيماني بين الرجل والمرأة حسب ما تثبته الآية الكريمة في قوله تعالى:﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [54]. وبين من أقر بأن المرأة أقل تدينا وأقل فرصة لدخول عالم الولاية والصلاح، فالمساواة

www.manaraa.com

من خلال النص القرآني لا شك ولا جدال فيها، إلا أننا نسجل تغييبهن وتهميشهن في التاريخ الواقعي لمجتمع المغرب الأوسط الوسيط.

يرى البعض أنه حين تصل المرأة إلى مرتبة الولاية وتنافس الرجل في الورع والصلاح، فإن أنوثتها تختفي، ويصبح من الضروري نفي الجسد الأنثوي من أولويات الدخول إلى عالم الولاية، ذلك أنها تعتبر أصل الغواية واللذة كما سبق الذكر، لذا وجب عليها أن تجاهد نفسها بالرياضات والعبادات حتى يمكنها الوصول إلى مرتبة الولاية والصلاح.

وبالرغم من هذا الطرح فإن بعض النساء سجلن حضورهن في جميع مراتب التصوف ومنازله ومقاماته، وهو ما يعكس التصور الذي ينظر إلى إنسانية المرأة والرجل ويتسامى عن الحيواني فيهما[55]، ومع هذا تمتعت النساء بالبركة فكن يحملن لقب لالة أو دادة، والذي يعني السيدة الولية، وهو أكثر الألقاب تشريفا للمرأة في شمال إفريقيا، مثل الولية الأكثر شهرة بتلمسان، "**لالة سيتي**" بنت الولي عبد القادر الجيلاني (ت561هـ/1165م)[56]، ويعد ضريحها[57] من أهم الفضاءات الضرائحية الأنثوية بالمغرب الأوسط، بالإضافة إلى مسجد لالة غريبة ومسجد لالة رويا[58]، وهي أدلة على المكانة الرفيعة التي وصلت إليها المرأة.

إضافة إلى وجود بعض النماذج التي انفرد ابن مرزوق (ت681هـ/1282م) كأحد أقطاب الكتابة المناقبية في العصر الوسيط برصدها، وتسجيل تملك المرأة للبركة والكرامة، وإن كان هذا الحضور محتشما مقارنة بالحضور الذكوري، متغلبا في ذلك على العقل الذكوري الإقصائي للمرأة والذي ميز الفترة الوسيطة، فأورد في حديثه عن والدة جده لأبيه الأقرب أبو عبد الله قال:" **وأمه زينب بنت الشيخ الصالح أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الدلالي، كانت ملازمة للعبادة مع زوجها، مقتصرة عليه من القوت متورعة عن أكل طعام أبيها، مباعدة لأهلها**" [59]. كما تحدث عن المرأة الصالحة ستُّم بنت الشيخ أبي علي حسين بن الجلاب من بيت الجلاب، وروي عنها أنها تمنت الموت ببيت المقدس فكان لها ذلك في 27 رمضان 724هـ [60]، ويمكن إضافة الصالحة المباركة فاطمة بنت العالم أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز من بيت بني عبد العزيز [61].

كما تحدث على أن جده لأمه الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي(ت899هـ/1494م) قد آوى إليه جماعة من عجز أهل مرسية وأسكنهم في دويرة ملاصقة لداره، وكن نساء صالحات، وكان يدخل كل ليلة فيسألهن عن حالهن كما كان يقوم بمئونتهن، ويجالسهن ويتحدث معهن ثم يعود إلى بيته[62]، وهو ما يعكس انفتاحهن على مجتمع الأولياء عن طريق تبادل الزيارات، ورتب أحمد بن يوسف الملياني الراشدي (ت931هـ/1524م) الذكر الجماعي بأسماء الله الحسنى للنساء في زاويته بسهل الشلف[63]، وهناك بعض الوليات من عملن على الظهور بمظهر ذكوري ولبسن لباس الذكور، ربما لإخفاء عفتهن وشجاعتهن[64] .

ومن مساهمات نساء المغرب الأوسط الوسيط في حركة التأليف في التصوف، نجد عائشة بنت الفقيه أحمد بن الحسن المديوني، وكانت من الصالحات وكانت لها قوة على تعبير الرؤية، كما أنها ألفت كتابا في الأدعية الصوفية، وهو أكبر دليل على ولوج المرأة مجال التصوف والكتابة فيه [65].

www.manaraa.com

3.2. المصاهرة ودور المرأة في توطيد العلاقات السياسية والصوفية

1.3.1. المصاهرة السياسية

لعبت النساء في المغرب الأوسط دورا فعالا في توثيق الروابط والصلاة بينه وبين المرينيين والحفصين وذلك عن طريق المصاهرة السياسية إذ تمكنت من تجنيب المغرب الأوسط في كثير من المرات الوقوع في الحروب، كما ساعدت على الاستنجاد بالأصهار وقت الحروب، وبالتالي شكل الزواج السياسي أحد الأمور التي كان للمرأة بالغ التأثير فيها ومن الأدلة التي جنبت فيها النساء بزواجهن السياسي حدة الصراعات العسكرية أن السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن تزوج سنة 681هـ/1303م، من الأميرة الحفصية [66]، ما مكنه من الاستنجاد بصهره الحفصي في بجاية لمواجهة القوات المرينية والقضاء عليها في معركة "**حصن الرؤوس**" قرب بسكرة [67].

وكذلك الأمر مع الأميرة المغراوية حفيدة ثابت بن منديل التي تزوجها سلطان المغرب، ونتيجة هذه المصاهرة تم توطيد العلاقة بين المغرب الأوسط والأقصى[68]، ومصاهرة السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1389م)، لصاحب بجاية المولى أبو عبد الله الحفصي، بالزواج من ابنته سنة 767هـ/1368م[69] مقابل الهدنة والصلح، ذلك أنه أصهر إليه ابنته فأجابه وزفها إليه فتلقاها قبيلة زواوة بآخر عملهم من حدود بجاية[70]، وكذلك مصاهرة السلطان الزياني أبو عبد الله أحمد المتوكل (866-873هـ/1462-1468م) للسلطان الحفصي أبو عمر عثمان (839-893 /1435-1488م)[71].

2.3.2. المصاهرة الصوفية

دعمت المصاهرة العلاقات السياسية بين سلاطين دول المغرب الإسلامي، وكان للمصاهرة الصوفية هي الأخرى تأثيرها في نيل شرف الانتساب إلى عائلة أو طريقة صوفية بغض النظر عن الفروقات الاجتماعية والتفاوت في الثراء والنسب، من ذلك مصاهرة بيت بني النجار لبيت المرازقة، وبيت ابن صاحب الصلاة لبيت بن العزيز الحزين[72]، والمصاهرة بين أبي عامر في تلمسان وكان من الأولياء الصلحاء الخطباء، وبيته معروف بالدين والصلاح بتلمسان، لكنه زوج ابنته لأبي العباس بن القطان الضعيف المحتاج، وذلك تقربا منه واستحبابا لنيل شرف المصاهرة معه، بالإضافة إلى مصاهرة أبي زيد النجار وهو من أسرة ثرية، للصوفي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن مرزوق بتزويجه ابنته فاطمة[73]. يمكن القول إن النسب الصوفي حل مكان النسب الشريف والثراء في الكثير من المرات.

3. الجسد الأنثوي كمنتوج اجتماعي والعناية به

أولت النساء في المغرب الأوسط الوسيط عناية خاصة بأجسادهن، فنجد أن المرأة أوجدت طرق مختلفة للعناية بجسدها وتجميله، إذ استعملت في حمامها الغسل بالعسل واللبن والنخالة والعدس، كما سرحت شعرها بالنضوج الذي يصنع من التمر والزبيب، وكانت تغسل شعرها بالبيض، أما يدها فغسلتها بماء الأرز [74]، ومن وسائل الزينة الأخرى التي ورد ذكرها في المصادر التاريخية نجد استعمالها للضفائر المسبلة المصبغة بالسواد،

www.manaraa.com

والتي شاع بيعها واستعمالها بين النساء [75]. كذلك استعانتها بالماشطة لتسريح شعرها وتجميله كما سبقت الإشارة إليه.

كما عملت بعض النسوة على زيادة وزنهن، وذلك تماشيا مع ما كان سائدا من معتقدا حول جمال جسد المرأة إذ شاعت فكرة أنه كلما كانت المرأة جسيمة وسمينة كلما اعتبرها الناس جميلة ورغبوا فيها[76]، ومن مواصفات جمال الجسد الأنثوي عند المرأة المغربية في تلك الحقبة "**البدانة**" إذ كانت البدينة أوفر حظا في الزواج من النحيفة [77]، وهو ما حذا ببعضهن إلى تعمد الإفطار في رمضان، خوفا من أن يقل وزنهن ويفقدن جزءا من حسنهن وجمالهن [78]، ويحسن التنويه هنا إلى أن هذه الظاهرة لم تكن عامة بل هي صورة من الصور التي نقلها لنا الجغرافيون الذين زاروا المنطقة كالوزان، ومن بعض الصور التي نقلها لنا في وصفه للمرأة المغربية في العصر الوسيط، نجده ركز على وصف أجساد بعض النساء في قوله: "**ممتلئات لحما وشحما، أردافهن غليظة سمينة**" [79].

وبالعودة لزينة المرأة الجسدية نجدها تتوزع بين المتعة الذاتية التي تجدها هذه الأخيرة في تأمل جمالها وهيئتها، وبين إبراز صورتها للآخر، وهو ما دفع بكافة النساء إلى استغلال وسائل ومواد التقيين واللباس، لتثمين مناطق جمالهن ومنح جاذبية أكثر لصورهن، فعملية الزينة والتجميل تجعل المرأة كائنا مظهريا بامتياز، أي كائنا من أجل الآخر [80]، من أجل الناظر إليها خاصة الرجل.

من وسائل العناية والزينة الأخرى التي اعتمدها نساء المغرب الوسيط، نجد أن المرأة كانت أكثر حرصا على الظهور في ثوب جديد وأنيق، على أنها كانت تستعمل أيام الأعياد مختلف أدوات الزينة من الحناء المنقوشة والسواك والكحل وتتعطر بأنواع المسك، كما استعملت الدهان ومختلف أنواع المجوهرات[81]، ونقل لنا ابن الخطيب (ت776هـ/1374م) صورة معبرة عن عناية المرأة بجسدها يوم العيد في قوله: "**وقد زينت العيون بالتكحيل، والشعور بالترجيل، وكرر السواك على مواضع التقبيل، وطوقت الأعناق بالعقود، وضرب الفكر في صفحات الخدود، ومد بالغالية على مواضع السجود، وأقبلت صنعاً بأوشيتها، وعنت بأرديتها، ودخلت العروس في حُليتها ورقمت الكفوف بالحناء، وأثني على الحسن وهو أحق بالثناء، وطلقت التوبة ثلاثاً بعد البناء، وغص الذراع بالسوار، وتختم في اليمين واليسار، وأمسكت الثياب بأيدي الأبكار**"[82] .

4. نظرة الحجب للنساء في مجتمع المغرب الأوسط الوسيط

1.4. الجسد العورة وإلزامية الستر

اعتبر المجتمع المرأة عورة، تستلزم الستر والحجب وفتنة تتطلب الدرء [83]، لذا تعالت أصوات الفقهاء لمنع المرأة من الخروج إذا كانت بادية الوجه والأطراف، فكما أن العادات المتصلة بالجسد تحدد هويته الدينية والحضارية فكذلك العادات المظهرية من اللباس [84]، وعليه فالطابع القدسي للباس المرأة يجب أن يكون ساتر لجميع البدن، وهو ما جعل من مسألة ستر هذا الجسد الأنثوي مادة دسمة للمصنفات الفقهية في المغرب الأوسط في العصر الوسيط، والتي تفننت في تحديد شروط اللباس الساتر والمقبول.

www.manaraa.com

أجمعت المصنفات الفقهية على أنه لستر الجسد يلزم المرأة " **قميص ووقَايَة ومَتَاعْ وقَرَقْ ولُفَافَة سابغة لرأسها، ومَقْنَعَة فوقها تجمع بها رأسها وصدرها وتستبدل المقنعة بالخمار وللشتاء الفَرْو**"[85]، بالإضافة إلى جبة وخُمْلة، وهذه الأخيرة هي ثوب من الصوف المخمل[86]، ولم يكن هذا اللباس كافيا لستر الجسد الأنثوي إذ وجب إضافة البَراقع والمَقَانع ، لستر الوجه وتغطيته[87]، لذا كانت النساء تضعن على وجوههن براقع عريضة[88]، ومنهن من وضعن أمام وجوههن ثوبا صغيرا مثقوبا، فإذا رأين رجلا ليس من أهلهن احتجبن فورا بهذا اللثام وأمسكن عن الكلام، فإذا انفردن بأزواجهن وذويهن رفعن اللثام [89]، أما المرأة الريفية فكانت تخرج غالبا بدون حجاب، كما خرجت أخريات متبرجات حاسرات الرأس[90].

أما النساء القاطنات بين الأطلس والبحر المتوسط فكن ترتدين لباسا حسنا، حسب عادة البلاد وشمل هذا اللباس قميص أسود واسع الأكمام، وجعلت النساء فوقه خمار أسود أو أزرق التحفن به، وجعلن هَدْبَة على أكتافهن من أمام ومن خلف، حيث يمسك هذا الخمار بمشبك فضي، ويضعن أقراطا عديدة من الفضة في آذانهن وخواتم في أصابعهن وأساور في أيديهن وخلاخل في أرجلهن على عادة الأفارقة[91]، ويمكن إضافة الحزام الذي شكل جزءا من لباس المرأة، وأعتبر رمزا للحاجز المقدس الذي يحمي الأنوثة[92] يمكن القول أن نساء المغرب الأوسط في العصر الوسيط التزمن الستر في لباسهن وشمل هذا الستر حتى النساء الذميات اللواتي خضعن لنفس المقاييس بالرغم من أنهن لسن مسلمات.

2.4. الاسم عورة وإلزامية الحجب

صورت المدونة الوسيطة المرأة كلها عورة، جسمها عورة، واسمها عورة وحتى صوتها عورة، خاصة إذا كان صوت نسوي تدل نبراته على الدلال والغنج، لذا اهتم الفقهاء بهذا الجانب ونهو المرأة عن التحدث بصوت مرتفع[93]، بالإضافة إلى صوتها فحتى اسمها الشخصي يدخل في باب الحجب كعورة، لذا نجد المصنفات الوسيطة في ذكرها لأغلب النساء، أوردتهن بذكر كنيتهن أو بإضافة اسم الأب مثل: أم محمد / أم الخير / أم عصفور تبعزات بنت حسين الهنتيفي[94]، وهذا ما أكده الباحث رحال بوبريك إذ قال: "**لما نبحث عن أثر النساء في كتب تراجم الأولياء الشهيرة في المغرب مثلا، لا نكاد نعثر إلا على عدد قليل منهن**"[95]. أو لا نكاد نعثر على ترجمة أي واحدة منهن، فها هو ابن مريم التلمساني في كتابه "**البستان**"[96]، والذي ترجم فيه لمائة واثنان وثمانون شخصية من العلماء والفقهاء والمتصوفة والصلحاء والأولياء، لم يذكر أي امرأة في مصنفه، بغض النظر عن مكانتها الاجتماعية أو مكانتها في الحقل الصوفي ومجال الكرامة.

بينما أورد صاحب "**التشوف**" ذكر بعض النساء الصالحات، وإن كان عددهن قليل مقارنة مع الرجال الصلحاء، فذكر سبعة نساء فقط ولم يترجم إلا لأربعة منهن ذكرهن بالاسم، وثلاثة مجهولات، وهي ترجمات قصيرة وردت عرضا في الحديث عن الصلحاء من الرجال[97]، فمن الصالحات اللاتي ذكرهن بالاسم نجد: ملوكة ومريم في قوله: "**حدثتني أختي ملوكة وكانت من الصالحات**"[98] و"**حدثتني مريم بنت يوسف بن عبد الله**"[99]، أما من المجهولات التي ذكرهن التادلي في تشوفه فقال:" **ومنهم امرأة مجهولة، رأيت قبلي مدينة أغمات وريكة**

www.manaraa.com

على قرب من قبر عبد العزيز التونسي قبرا يتبرك الناس به ويدعون عنده، ويذكر أنه قبر أخت عبد العزيز التونسي، وأنها انقطعت إلى عبادة الله تعالى إلى أن ماتت وهي بكر"[100]، كما ذكر بأن "**هناك ألف امرأة من الأولياء حضرن (رباط شاكر)**[101]**، وأن في المصامدة**[102] **سبعة وعشرون وليا يخترقون الهواء، وفيهم أربعة عشر امرأة منهن عجوز**"[103].

لم تحفظ لنا المتون النصية لمؤرخي العصر الوسيط أسماء النساء إذ ندر الحديث عنهن، لكن شواهد القبور المحفوظة في متحف تلمسان، حفظت لنا أسماء عدد كبير منهن، كأنما بعد موت المرأة يزال الحجب عن اسمها ويمكن بالتالي الكشف عنه وكتابته على شاهد القبر، ومن أمثلة ذلك الكثيرة والتي ذكرها وليام مارسي في كتابه "**مقتنيات متحف تلمسان**" أذكر بعضهن على سبيل المثال لا الحصر:

-شاهد قبر مصنوع من الرخام المشوي ل: تاحضريت بنت عمر بن يعقوب بن أبي حمو موسى بن طلحة بن غمرسان (ت815هـ) [104].

-رقية بنت أمة الحق بنت مولاي عبد الواحد بن مولاي أبي حمو (ت823هـ) [105].

-ملوكة بنت الشيخ عثمان بن مشعل زوجة السلطان أبي عبد الله محمد (ت867هـ) [106].

-الزهرة بنت السلطان أبي عبد الله محمد بن محمد الثابتي (ت926هـ) [107].

-رحمونة بنت أبي عبد الله محمد بن القاضي أبي يحيى العقباني (ت973هـ) [108].

من الأسماء الأخرى وردت اسم غريبة – شمسة- الحاجة- ياسمين- عائشة- فتوحة- لعوالي- زينب- شاشة- فاطمة- يمينة- العالية- علولة- رحمونة- رحمية وغيرها من الأسماء [109].

إن رفع الحجب عن أسماء النساء على شواهد القبور يرجع أساسا لتحديد القبور والحول دون اختلاطها، كما أن القبر يمتاز بقدسية ورهبة دينية، تجعل من الأسماء وإن كانت لبنات أو نساء السلاطين شيئا ثانويا.

خاتمة

من خلال دراسة موضوع الحضور النسوي في المدونة الوسيطة بالمغرب الأوسط الوسيط يمكنا الخروج بالنتائج التالية:

المتأمل للنص التاريخي بالمغرب الأوسط في العصر الوسيط، لن يفوته إدراك أن هناك مجموعة من المرجعيات والمنطلقات تحكمت إلى حد كبير في تحديد توجه الكتابة التاريخية وتركيزها على المجتمع الذكوري في صورة السلاطين والخلفاء والفقهاء والعلماء والمتصوفة على حساب ذكر النساء.

من خلال هذه الدراسة تبين لي أنه رغم الإقصاء الذي طال النساء في المدونة الوسيطة، إلا أنهن تمكن من تجاوز هذا التهميش والحجب، وهو ما تعكسه المكانة المرموقة التي خلدت من خلالها المرأة صورتها، كسوط النسا أم يغمراسن بن زيان، أو من خلال المكانة الصوفية التي وصلت إليها والأضرحة التي شيدت لتخليد ذكراها المقدسة كلالة سيتي بتلمسان، ومنه استطاعت المرأة بممارساتها الدينية والصوفية من أخذ مكانتها في نسق الولاية والصلاح الصوفي.

www.manaraa.com

أسهم تكوين المرأة في أن تلعب دورا فعالا في تراتبية المجتمع من خلال دورها في الأسرة، واشتغالها ببعض الصنائع وحرصها على التأنق في الملبس والزينة وغيرها، كما لا ننسى مساهمتها في النشاط السياسي والحربي.

بالرغم من تباين موقف مؤرخي المغرب الأوسط في العصر الوسيط حول ذكر النساء في مدوناتهم، إلا أن هذا التباين لم يمنع ابن مرزوق والتادلي من ذكر بعض النساء لما لهن من عظيم الأثر.

لا يسعني في الأخير إلا أن أنوه بأن المدونة الوسيطة مازالت مجالا خصبا للبحث والتقصي حول حضور النساء ومساهمتهن في صنع التاريخ، على أمل أن يكون هذا المجال مفتوحا للباحثين في تاريخ الفئات المهمشة وعلى رأسها النساء المغيبات والمهمشات.

الهوامش:

(1) تحمل كلمة **الأستوغرافيا** معنيين: فهي تعني بالمعنى الضيق، مجموع النتائج التي توصل إليها الدارسون للكتابات التقليدية، مثل المؤلفات الحولية وكتب المناقب والعقود والنوازل وكتب الجغرافيا والتراجم والطبقات والسير وغيرها، وفي المعنى الواسع تعني دراسة طرق البحث والاستقصاء، ويشير هذا المعنى إلى الشكل أو المنهج، أي إلى المظهر الخارجي. العروي، عبد الله، (2005م)، **مفهوم التاريخ**، ط4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب، ص97.

(2) مارسي، الياد، (1988م)، **المقدس والمدنس**، ط01، ترجمة: عبد الهادي عباس المحامي، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ص107؛ الزاهي، فريد، (1999م)، **الجسد والصورة والمقدس في الإسلام**، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء– المغرب، ص57.

(3) بوحديبة، عبد الوهاب، (1987م)، **الإسلام والجنس**، ترجمة: هالة العوري، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص131.

(4) عبيدي نوارة وخميسي فوزية، (2017م)، "**المعتقدات الشعبية في الأسرة الجزائرية من طقوس الولادة حتى نمو الطفل**"، مجلة تاريخ العلوم – جامعة الطارف، ع9، ص ص 135 –141؛ أورد الونشريسي في معياره العديد من النوازل حول حفظ حقوق النساء أثناء الحمل وبعد الولادة، وهو ما يؤكد المكانة الهامة التي كفلتها الشريعة الإسلامية ومن بعدها المجتمع للأمهات. الونشريسي، أحمد بن يحيى، (1981م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، أشرف على تحقيقه: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 3/ 319، 322 وغيرها.

(5) حمودا، حنان، (2016م) "**الماء كمنشط أنثروبولوجي لإنتاج الطقوس بواحة سكورة جنوب المغرب**"، مجلة إضافات– جامعة محمد الخامس الربط– ع33–34، ص. ص 141–156، ص154.

(6) حمودا، حنان، المرجع السابق، ص142.

(7) المستاري، الجيلالي، (2006م)، " **الجسد والمقدس – قراءة في الخطاب الفقهي لابن قيم الجوزية**"، مجلة إنسانيات– مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية – وهران، ع 31، ص.ص 45–65، ص57.

(8) الزاهي، فريد، المرجع السابق، ص76.

(9) ابن القاضي، المكناسي، (1971م)، **درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأمين الأحمدي**، مكتبة التراث، القاهرة؛ المكتبة العتيقة، تونس، 3 أجزاء،1/90.

(10) ابن مرزوق، أبي عبد الله محمد، (2008م)، **المناقب المرزوقية**، ط1، تحقيق: سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية والإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء– المغرب، ص 194.

(11) من بين النوازل التي وردت في المعيار على سبيل المثال لا الحصر. نازلة عن زوجة أسقطت عن زوجها نفقة أولادها من غيره، 21/3، الولد في كفالة جدته، 391/3، الولد في كفالة أمه 412/3 و323/3. الجدة لا تؤمن على كفالة أولاد ابنها لفقرها وقلة ذات يدها يأكلون عند أبيهم ويرقدون عند جدتهم إن لم يتضرر والدهم برقادهم عندها 278/3.

www.manaraa.com

(12) ابن صعد، محمد بن أحمد بن أبي الفضل الأنصاري التلمساني، (2002م)، **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**، ط1، تحقيق: يحيى بو عزيز، منشورات المؤسسة الوطنية للإشهار، الجزائر، ص 28.

(13) الونشريسي، المصدر السابق، 223/8؛ يعد إنتاج مادة الزيت بعد عصر الزيتون من أهم الصناعات التي اهتمت بها النساء، خاصة في المناطق الشمالية من المغرب الأوسط، كمستغانم وتلمسان وشرشال وهنين التي اشتهرت بأفضل أنواع الزيتون حسب الوزان، الحسن بن محمد الفاسي، (1983م)، **وصف إفريقيا**، ط2، ترجمة: أحمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، جزءان،16/2.

(14) الونشريسي، المصدر السابق، 191/4.

(15) بكاي، عبد المالك، (2014م)، **الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7-10هـ/13-16م**، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة الحاج لخضر باتنة، ص 285، 286؛ وذكر ابن مرزوق أنه كان يقدم في ليلة الاحتفال بالمولد النبوي الكعك والحلاوات ثم يؤتى بملاح السكر، (1981م)، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص153.

(16) بلعربي، خالد، (2011م)، **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان (681-633 هـ/1235-1282م) - دراسة تاريخية وحضارية**، ط1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة- الجزائر، ص304.

(17) ابن خلدون، عبد الرحمن، (1996م)، **المقدمة**، منشورات دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، ص262.

(18) الونشريسي، المصدر السابق، 128/4.

(19) العقباني، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد التلمساني، (1967م)، **كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر**، تحقيق: علي الشنوفي، نشر بولتان للدراسات الاستشراقية، دمشق، ص77؛ وعرفت الباحثة في الانثروبولوجيا سهام زيزي في دراسة حول ظاهرة التويزة بمنطقة بني سنوسن جنوب مدينة تلمسان، بأن **التويزة** كعملية تضامنية تقوم بها مجموعة ما من أجل سد حاجات الأفراد العاجزين بسبب ظروف معينة، وأكثر ما تسود هذه الظاهرة في المناطق ذات النشاط الفلاحي، (2012م)، **التويزة وأبعادها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية- دراسة سوسيوانثروبولوجية-**، قسم الأنثروبولوجيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة أبي بكر بلقايد، ص31،33.

(20) ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب، (1965م)، **أنس الفقير وعز الحقير**، نشر: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط - المغرب، ص81.

(21) الزهري، أبو عبد الله ممد بن أبي بكر، (د.ت)، **كتاب الجغرافية**، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد- مصر، ص113،114.

(22) أبو زكريا يحيى بن موسى المغيلي، (2009م)، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، تحقيق: مختار حساني، مراجعة: مالك كرشوس الزواوي، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج2، ص66.

(23) الزهري، المصدر السابق، ص113،114.

(24) المصدر نفسه، ص113،114.

(25) المازوني، المصدر السابق، 33/2؛ الونشريسي، المصدر السابق، 128/4.

(26) ابن خلدون، أبو زكريا يحيى بن محمد (1980م)، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، إصدارات المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر،92/1.

(27) الونشريسي، المصدر السابق، 3/ 278.

(28) الغبريني، أبو العباس أحمد، (2007م)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: محمد بن أبي شنب، دار البصائر، الجزائر، ط01. ص82.

(29) حاج جلول، بختة، (2015م)، **المرأة في المجتمع الزياني**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية جامعة وهران، ص 81.

www.manaraa.com

(30) الونشريسي، المصدر السابق، 5/ 238.

(31) حاج جلول، المرجع السابق، ص82.

(32) الزركشي، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم، (1966م)، **تاريخ الدولة الموحدية والحفصية**، تحقيق: محمود ماضود، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، ص29؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، (2010م)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، بيروت، 8أجزاء، 120/7.

(33) التنسي، محمد بن عبد الله (1985م)، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق: محمود بوعياد، اصدارات المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ص117؛ ابن الشماع، أبو عبد الله محمد بن أحمد، (1948م)، **الأدلة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق: الطاهر بن محمد المعمودي، الدار المغربية للكتاب، تونس، ص59؛ بوحديبة، ع، المرجع السابق، ص 131.

(34) **باب العقبة** يقع شرق مدينة تلمسان وهو الباب القديم بالقري من العباد السفلي، ظل قائما منذ تأسيس مدينة أقادير بني بأحجار من بقايا بوماريا الرومانية، ابن خلدون، **البغية**، المصدر السابق،90/1؛ ابن مرزوق، **المسند الصحيح**، المصدر السابق، ص175.

(35) **باب كشوط** يقع في الجهة الجنوبية الغربية لتلمسان وقد أمر يغمراسن ببنائه وتحصينه بأبراج وأسوار عالية، ابن خلدون، **البغية**، المصدر السابق، 207/1.

(36) ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، (1972م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تحقيق: عبد الوهاب ابن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ص131؛ ابن قنفذ، المصدر السابق، ص19؛ الحميري، عبد المنعم، (1984)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: منشورات مكتبة، ص136؛ ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق،108/7.

(37) الزركشي، المصدر السابق، ص29؛ ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق،131/7.

(38) ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، 108/7.

(39) ابن مرزوق، **المناقب**، المصدر السابق، ص285.

(40) المصدر نفسه، ص285.

(41) فيلالي، عبد العزيز(2002م)، **تلمسان في العهد الزياني– دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية–**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، جزءان، 25،26/1.

(42) ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق،112،115/7؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص115؛ بلعربي، خالد، المرجع السابق، ص299.

(43) مؤلف مجهول، (1920م)، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، نشر، محمد بن أبي شنب، مطبعة جول كربونل، الجزائر، ص131؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 115.

(44) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 131؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص،116؛ ابن الأحمر، (2001م)، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تقديم وتحقيق: هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد– مصر، ص18؛ الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد(1954م)، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، المملكة المغربية، 26/3.

(45) ابن مرزوق، **المناقب**، المصدر السابق، ص184؛ فيلالي، عبد العزيز، المرجع السابق، 293/1.

(46) ابن خلدون، **البغية**، المصدر السابق، 129/1.

(47) المصدر نفسه،211/1.

(48) ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، 129/7؛ ابن الأحمر، المصدر السابق، ص28.

(49) أبو حمو، موسى بن زيان العبد الوادي، (2012م)، **كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك**، ط01، تحقيق: محمد بوترعة، دار الشيماء– دار النعمان، الجزائر، ص55–56.

www.manaraa.com

(50) المصدر نفسه، ص57.

(51) ابن الزيات، أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمان التادلي، (2010م)، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، ط3، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط –المغرب، ص231.

(52) إمام، عبد الفتاح إمام، (1996م)، **أرسطو والمرأة**، ط1، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، ص78.

(53) ابن الزيات، المصدر السابق، ص259،258.

(54) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية 35.

(55) براضة، نزهة، (2008م)، **الأنوثة في فكر ابن عربي**، ط1، دار الساقي، بيروت، ص 164.

(56) دوتي، أدموند، (2014م)، **الصلحاء – مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء– المغرب، ص62،61؛ مارسي، وليم وجورج، (2011م)، **المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان**، ط1، تقديم وترجمة: مراد بلعيد وآخرون، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 465.

(57) **الضريح** معلم قدسي طقوسي توفرت فيه معالم العظمة والهيبة والصلاح، وله حرمة خاصة وقد أصبحت أضرحة الورعين والمتعبدين معابد خاصة، يقصدها الأوفياء والنساء بشكل خاص في إفريقيا الشمالية، واللواتي لم تكن لهن عقيدة سوى إجلال هؤلاء الصالحين، بإنجاز طقوس وتضحيات وتقديم قرابين كإشعال الشموع والنضح بماء الورد والجاوي، كل هذه المظاهر تكون ما يسمى بالزيارة. مارسي، وليام وجورج، المرجع السابق، ص461؛ سراج، جيلالي، (2015)، **زيارة الأضرحة وأثرها في المعتقدات الشعبية– ضريح سيدي يوسف الشريف نموذجا**– قسم الانثروبولوجيا، كلية العلوم الإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، ص55.

(58) ابن مرزوق، **المناقب**، المصدر السابق، ص 149–150

(59) المصدر نفسه، ص 149–150.

(60) المصدر نفسه، ص 292.

(61) المصدر نفسه، ص 162.

(62) المصدر نفسه، ص156.

(63) أبي حامد، محمد العربي، (2003م)، **مرآت المحسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن**، ط1، تحقيق: محمد حمزة الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء– المغرب، ص292.

(64) دوتي، ادموند، المرجع السابق، ص128.

(65) نويهض، عادل، (1980م)، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحديث**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ص289.

(66) ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، 122/7؛ التنسي، المصدر السابق، ص128، ابن خلدون يحيى، **البغية**، المصدر السابق، 110/1.

(67) ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، 131/7؛ حاج جلول، المرجع السابق، ص 14.

(68) ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق،122/7.

(69) التنسي، المصدر السابق، ص144.

(70) ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، 171/7.

(71) نويهض عادل، المرجع السابق، 284.

(72) ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 161–163.

(73) ابن مرزوق، **المناقب**، المصدر السابق، ص 168.

(74) البرزلي، أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي، (2002م)، **فتاوى البرزلي– جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام**، ط1، تحقيق وتقديم: محمد الحبيب الهيلة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 6 أجزاء، 207/1–252/3.

www.manaraa.com

(75) المصدر نفسه، 258/3.

(76) برنشفيك، روبار، (1988م)، **-تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن15**، ط1، ترجمة: حماي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،178/2.

(77) المرجع نفسه، 178/2.

(78) ابن الحاج، محمد بن محمد المالكي، (1972م)، **المدخل**، ط2، بيروت، دار الكتاب العربي،105/1؛ ابن قنفذ، المصدر السابق، ص46؛ الونشريسي، المصدر السابق، 487/2-488.488.

(79) الوزان، المصدر السابق، ص 59/1-60.

(80) الزاهي، فريد، المرجع السابق، ص96.

(81) بلعربي، خالد، المرجع السابق، ص307؛ برونشفيك، روبار، المرجع السابق،294/2.

(82) ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله، (1977)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ط2، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 4 أجزاء. 502/2.

(83) الزاهي، فريد، المرجع السابق، ص103.

(84) المرجع نفسه، ص103.

(85) البرزلي، المصدر السابق،388/2.

(86) المصدر نفسه،132/2-403.

(87) النميري، إبراهيم ابن الحاج، (1990م)، **فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**، ط1، تحقيق: محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص434.

(88) برنشفيك، روبار، المرجع السابق،293/2.

(89) الوزان، المصدر السابق، 64/1.

(90) برنشفيك، روبار، المرجع السابق، 293/2-294.

(91) الوزان، المصدر السابق، 64/1.

(92) بورديو، بيار، (2009م)، **الهيمنة الذكورية**، ط1، ترجمة: سلمان قعراني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ص47.

(93) الزاهي، فريد، المرجع السابق، ص63.

(94) ابن الزيات، المصدر السابق، ص388،387،162.

(95) بوبريك، رحال، (2010م)، **بركة النساء – الدين بصيغة المؤنث**، ط01، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب، ص27.

(96) ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد، (1908م)، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق: أحمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر.

(97) نشاط، مصطفى، (2001م)، "**الديمغرافية التاريخية في الرحلة الزيارية بالمغرب الوسيط**"، مجلة كنانيش الديمغرافيا التاريخية، بجامعة محمد الأول كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، ع/3، ص ص 23- 34، ص30؛ فتحة، محمد، (1999م)، **النوازل الفقهية والمجتمع – أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 6 إلى 9هـ/12-15م**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الحسن الثاني عين الشق، الدار البيضاء- المغرب.

(98) ابن الزيات، المصدر السابق، ص 134.

(99) المصدر نفسه، ص 136-137.

(100) المصدر نفسه، ص94.

www.manaraa.com

(101) **رباط شاكر** نسبة لأحد أصحاب عقبة بن نافع الفهري، يجتمع فيه الصلحاء في رمضان من أجل ختم القرآن والرباط في اصطلاح الفقهاء عبارة عن احتباس النفس في الجهاد والحراسة وعند المتصوفة يقصد به الموضع الذي يتلزم فيه العبادة. التادلي، المصدر السابق، ص51؛ ابن مرزوق، **المسند الصحيح**، المصدر السابق، ص411.

(102) **المصامدة** نسبة إلى مصمودة، وهي إحدى فروع الأفارقة البيض، إذ ينقسمون إلى خمس شعوب صنهاجة– ومصمودة – وزناتة – وهوارة – وغمارة. الوزان: المصدر السابق، ص36.

(103) ابن الزيات، المصدر السابق، ص387.

(104) مارسي، وليام، (2011م)، **مقتنيات متحف تلمسان**، تعريب وتقديم: الرزقي شرقي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية – الجزائر، ص21.

(105) المرجع نفسه، ص22.

(106) المرجع نفسه، ص22.

(107) المرجع نفسه، ص24.

(108) المرجع نفسه، ص27.

(109) المرجع نفسه، صفحات متعددة.

www.manaraa.com